الإخـــوان

فوزى أسعد نقيطى[1]

اجتاحت شــبه الجزيرة العربية، فى الفترة من ١٩١٢م – ١٩٣٠م حركة دينية عرفت بحركة الإخوان. تشكلت نواتها بجوار آبار «الأرطاوية» التى تقع فى أراضى قبيلة «مطير» على طريق القوافل بين الكويت والقصيم[2].

كانت الحركة عند نشأتها، دينية محضة[3] إذ كان أعضاؤها يعبرون عن أنفسهم بأنهم: «أهل التوحيد.. إخوان من طاع (أطاع) الله»[4] .

كما أطلقوا اســم «الهجرة» على الأرطاوية أى الهجــرة إلى الله[5] أو أنهم هجروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى طيبة[6] عاكفين على تعلم مبادئ القراءة، وحفظ شىء من القــرآن الكريــم والحديث[7] ويعرف عبد الله القصيمى الإخــوان بأنهم «هم الأعراب الذين عشقوا الدين وسكنوا القرى بدلا من الخيام المتنقلة»[8].

وكما لاحظ المســتر ســانت جون فيلبى، الذى أمضى فى البلاد السعودية ما يربو على ٤٠ عامًــا، فإن القبائل أخــذت تقلد بعضها فى ترك حياة الباديــة، الأمر الذى أدى إلى انتشــار «الهجرة» بســرعة مذهلة[9] فى قلب نجد ذاتها، وبالقرب من الحدود مع الحجاز غربًــا، وفى منطقة قبائل شمر، والرولة حتى الحــدود الأردنية شمالا، وعلى حافة الربع الخالى جنوبًا، وبالقرب من إمارة قطر شرقًا[10] حتى بلغ عددها ٢٢٠ هجرة[11].

---

(١) دكتوراه فى التاريخ الحديث المعاصر – كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٢) Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, PP. 145.

أمين الريحانى، ملوك العرب، ص ٥٧٤.

(٣) Izzard, Molly, The Gulf, PP. 62.

(٤) أمين الريحانى، نفس المرجع. (–) الموسوعة الميسرة.

(٥) أمين الريحانى، تاريخ نجد، ص ٢٦١.

(٦) حافظ وهبه، جزيرة العرب فى القرن العشرين، ص ٥٧٣.

(٧) نفس المرجع.

(٨) عبد الله القصيمى، الثورة الوهابية، ص ٥٥.

(٩) Philby, H.ST. J. B., Saudi Arabia, PP. 261 – 262.

(١٠) Habib, John, Ibn Saud warriors of Islam, PP. 58.

(١١) Ibid.

ابن سعود وحركة الإخوان:

ليس صحيحًا ما ذكره عبد العزيز التويجرى، وكيل الحرس الوطنى، من أن ابن سعود هو الذى أسس حركة الإخوان، وأنه هو الذى أطلق عليها تلك التسمية[1] بدليل أن الكابتن «شكسبير» Shakespear الوكيل السياسى فى الكويت، الذى زار ابن سعود، فى الرياض عام ١٩١٥م، واشترك معه فى معركة «جراب» ضد ابن رشيد، لم يذكر شيئًا فى تقريره عن تلك الحركة[2].

كما أن المستر فيلبى، لم يذكر فى أى من مؤلفاته العديدة، أو فى تقاريره لحكومته أى دور لابن سعود فى إنشاء تلك الحركة.

أما الميجور «ديكسون» Dickson، الوكيل البريطانى السياسى فى البحرين، والذى زار ابن سعود فى الفترة من ٢٩ يناير إلى ٢٠ فبراير ١٩٢٠م، فقد كتب إلى مرجعه فى بغداد تقريرًا بعنوان: «ملاحظات عن حركة الإخوان» جاء فيه: «إن ابن سعود لم يكن المؤسس الحقيقى لحركة الإخوان، وأن الزعيم الأعلى للحركة هو الشيخ عبد الكريم المغربى (أحد تلاميذ جمال الدين الأفغانى[3] الذى كان رئيسًا للعلماء فى عهد «فالح باشا السعدون» شيخ «المنتفق»[4] ثم أصبح أحد علماء «خزعل باشا» والد الشيخ إبراهيم بك السعدون إلا إنه ترك خدمة خزعل وذهب إلى نجد، حيث استقر به المقام فى قرية الأرطاوية، حيث نشأت الحركة عام ١٩١٢م».

وأشار التقرير إلى علاقة ابن سعود بحركة الإخوان بقوله: «إن ابن سعود، وقد أدرك فى أوائل عام ١٩١٦م أن اليد الطولى فى شئون نجد قد أصبحت للإخوان لم يكن أمامه سوى حلين:

(أ) إما أن يكون حاكمًا زمنيًا فيجابه الإخوان.

(ب) أو يحتوى الحركة، بأن يكون زعيمها الروحى، فاختار الحل الثانى خوفًا على نفسه من السقوط، على أن يقوم بتحويلها عن أهدافها الدينية لتخدم أهدافه السياسية..

---

(١) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجرى، لسراة الليل هتف الصباح، ص ٢٠٠.

(٢) Lacey, The Kingdom, PP. 142.

(٣) د. عبادة كحيلة، لقاء فى الجمعية التاريخية، ديسمبر ٢٠٠٩م.

(٤) اسم يطلق على القبائل العراقية التى تقيم فى القسم الجنوبى لنهر الفرات.

وعلى هذه الخلفية أصدر ابن سعود أمره الشهير بانخراط جميع القبائل، شاءت أم أبت، فى صفوف حركة الإخوان، وأن تدفع له الزكاة بصفته الإمام الشرعى، بل إنه هدد باستخدام القوة ضد أية قبيلة تمتنع عن دفعها[1].

وتحدث ديكسون عن طريقة ابن سعود فى استقطاب العشائر وضمهم إلى الإخوان فقال: «كان يستدعى شيخ العشيرة ليقول له صراحة بأن عشيرته لا دين لها.. وإن كل أفراد عشيرته «جهلة» ثم يأمر الشيخ بالحضور إلى مدرسة العلماء بالمسجد الكبير فى الرياض، حيث يتلقى سلسلة من الدروس الدينية، وفى ذات الوقت يكلف عددًا من العلماء المتعصبين (المطاوعة)، بالتوجه إلى عشيرة الشيخ لإلقاء الدروس الدينية على أفرادها بالمفاهيم الوهابية، بهدف إثارة التعصب الكامن فى نفوسهم، وإقناعهم بأن ابن سعود هو الإمام، والأب، والشيخ، والزعيم الروحى لهم فى آن واحد».

«وكان هؤلاء المطاوعة، الذين يفرضون لبس العمامة البيضاء على الأفراد المنضمين لحركة الإخوان، يرسخون فى أذهانهم بأنهم، هم فقط المسلمون الحقيقيون وأن المسلمين الآخرين كفار.. كما كانوا يحرصون على إفهام «الأخ» بألا يرد السلام إلا لأخ مثله... وإذا ما رأى أحدا غير زملائه من الإخوان، فإن عليه أن يغطى وجهه بيده حتى لا يدنسه منظر الشخص الغريب».

«كما كان هؤلاء المطاوعة يحاولون إقناع أفراد العشيرة بأن الله هو كل شىء، أما محمد (ص) فليس سوى رجل نادى بكلمة الله... وأنه مات وذهب، ولم يبق له معنى إلا أن يذكر اسمه باحترام».

ويمضى ديكسون فيقول: «كان ابن سعود، من جانبه، يحاول إقناع جماعة الإخوان بأنه «محمد ثان» أو «المهدى» أو البطل الأوحد الذى يدافع عن الإسلام»[2] ولهذا تخلى ابن سعود عن لقب «الأمير» وسمى نفسه «إماما»[3].

كما حاول جاهدًا إخفاء علاقاته ببريطانيا التى وقع معها فى ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م اتفاقية «دارين» التى تعهد فيها بألا يقيم علاقات مع دولة أخرى، وألا يبيع، أو يرهن

---

(١) FO. 371/ 5062 – E 289/ 9/ 44.

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد الخامس، ص ١٤٥ – ١٤٩.

(٢) L/ P & S/ 10/ 391. (–) المجلد الخامس، ص ١١٧ – ١١٨.

(٣) PFO. 371/ 5062 – E 6289/ 9/ 44. (–) نفس المجلد، ص ١٥٠ – ١٥١.

شـيئًا، وألا يعطـى امتيـازات لدولة أخرى إلا بعـد موافقة الحكومـة البريطانية، مقابل حمايتها له، ومنحه مساعدة مالية مقدارها ٥,٠٠٠ جنيه إسترلينى شهريًا[١].

ومما قاله ديكسون فى هذا الصدد: إن ابن سعود كان يتعمد مهاجمة الأجانب أمام شيوخ وزعماء الإخوان، ولقد قال فى حضورى ذات مرة «إن المسـاعدات الشـهرية التى تقدمها له الحكومة البريطانية، ومقدارها ٧٥,٠٠٠ روبية، والتى حملت قسـطا منها إليه، هى جزية يدفعها له المسيحيون.. ولقد حذرنى أمام الحضور من أن التدخين محرم، ومع ذلك، بعث لى فى المساء علبتين من أفخر السجائر المصرية طالبًا منى أن أدخنها داخل حجرتى».

وبالجملة، فإن ابن سعود – والكلام على لسان ديكسون – كان يحاول قدر استطاعته إحاطة علاقاته بالإنجليز بغلاف كثيف من السرية تحاشيًا لثورتهم ضده، أو فقدان تعاونهم معه على الأقل[٢].

ويضيف المسـتر فيلبى إلى ما سـبق، بأنه لما أراد السفر فى نوفمبر ١٩١٧م إلى الرياض للقاء ابن سعود، فإنه لم يذهب إليها مباشرة، بل ذهب إلى البحرين أولا، ثم استقل مركبًا شـراعيًا إلى مينـاء «العقير» حيث مكث بعض الوقت فى قصـر الأمير «عبد الله بن جلى» فى الأحسـاء، حيث خلع ملابسه الغربية وتخلص من كل شىء يدل على أنه غريب، ثم ارتدى الملابس العربية: الثوب، والغترة الحمراء (الشـماغ) ثم ركب ناقته يوم ٢٢ نوفمبر واتجه إلى الرياض التى وصلها يوم ٣٠ منه[٣].

والواقـع، فإن ذلك اليوم يعد علامة فارقة فى تاريخ حركة الإخوان، بل وتاريخ شـبه الجزيرة العربية كلها.

وربما كان الكاتب الفرنسـى «جان جاك بيربى» على حق لما قال: «إن مغامرة لورانس تعد مهزلة إزاء الدور الفريد الذى لعبه سـنت جون فيلبى على مدار ٣٨ عامًا أمضاها فى رسم الخطوط العريضة للسياسة السعودية»[٤].

---

(١) (5353) FO. 371/ 2479؛ (–) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٣٠٦ – ٣٠٧.

(٢) Dickson, Ibid, P. 153, 249.

(٣) Philby, Arabian Days, PP. 146.

_____, Arabian Jubilee, PP. 54.

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد الثالث، ص ٧٠٩. L/ P & S/ 10/ 390

(٤) جان جاك بيربى، الخليج العربى، ص ١٤٠ – ١٤١.

دور سنت جون فيلبى فى عسكرة الإخوان:

كان هدف فيلبى من سفره إلى الرياض، كما قال هو شخصيًا: «حث ابن سعود على شن هجمات عسكرية ضد «حائل» بهدف إسقاط ابن الرشيد واحتلالها»[١].

وكتب تقريرًا مطولا لمرجعه، الكولونيل «أرنولد ويلسون» القائم بأعمال المفوض المدنى فى العراق، بعد وصوله الرياض قال فيه: «إن الدخل السنوى لا يتعدى ١٠٠,٠٠٠ جنيه، بالإضافة إلى مساعدات الحكومة البريطانية، ومقدارها ٦٠,٠٠٠ جنيه سنويًا، وهو مبلغ لا يكفى للصرف على هجرة الإخوان، وشيوخ القبائل».

وطالب فيلبى فى تقريره «بزيادة المساعدات إلى ٥٠,٠٠٠ شهريًا، وإرسال ٨ مدافع، مع ١٠٠,٠٠٠ بندقية حديثة بذخيرتها، مع مدربين للمدافع، وكذلك تزويد ابن سعود بمبلغ قدره ٢٠,٠٠٠ جنيه، كى يتمكن من شراء الدواب اللازمة لنقل الأسلحة، والذخائر والأفراد».

مؤكدًا على «أنه فى حالة وصول المطلوب من المال والأسلحة فإن «الجيش الوهابى» سيكون مستعدًا للزحف على حايل فى شهر أبريل ١٩١٨م، وذلك طبقًا لتعهد ابن سعود نفسه»[٢].

ولأن نجاح معارك الإخوان يعتمد على إخفاء علاقة ابن سعود بالإنجليز، فلقد كتب فيلبى إلى مرجعه ينصحه «بأن يكون التمثيل الدبلوماسى فى الرياض غير مرئى، وأن يكون متقطعا، وأن يرتدى أفراد البعثة الدبلوماسية ملابس السكان المحليين، والإذعان للقيود المفروضة على الاتصالات الاجتماعية حتى وإن كانت مثيرة للإزعاج»[٣].

ولذلك، فإن فيلبى لم يرافق حملة الإخوان التى اتجهت إلى حايل يوم ٥ أغسطس ١٩١٨م، رغم إجادته اللغة العربية[٤] وقدرته على تقمص الشخصية النجدية[٥] واكتفى بمراقبة المعارك من أماكن مرتفعة، قريبة منها، على حد قوله[٦].

---

(١) Philby, Ibid, P. 58 – 65.

(٢) _____, P. 56 – 58.

(–)– Arabian Days, P. 153 – 154. (–) L/ P & S/ 10/ 390.

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد الثالث، ص ٧٤٥ – ٧٤٩، ٧٦٤.

(٣) L/ P & S/ 10/ 390.

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد الثالث، ص ٧٨٠.

(٤) رسائل بن جوريون، ترجمة الأميرة دينا عبد الحميد، ص ١٠٩.

(٥) Philby, Arabian Days, P. 157 – 162.

(٦) _____, P. 170.

ومما قاله فى رسالة إلى زوجته «دارا» حول تلك الحملة: «من المثير للأسى ألا أكون مع حملتى الخاصة My own Campaign التى استغرق إعدادها عشرة أشهر كاملة حتى بلغت درجة عالية من الكفاءة[١].

وتقديرًا منه لهذا الجهد، كتب ابن سعود رسالة إلى الكولونيل ويلسون، بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩١٨م قال فيها: «إن فيلبى من أفضل الممثلين لتنفيذ سياسة ومخططات صاحب الجلالة الإمبراطور، والحكومة البريطانية وأنا جد شاكر له، ومقدر للتعب الذي تجشمه لإزالة مصاعبنا»[٢].

وكتب رسالة للمستر فيلبى، بنفس التاريخ جاء فيها: «بعد تقديم أطيب التحيات والاحترامات... أنت مثلنا أمام أعيننا فى كل الظروف وكل الأعمال... أنت بالنسبة لنا كالروح من الجسم، ولنا كل الثقة فيك بعد الله، أنت وكيلنا الوحيد ولا نستطيع أن نعارضك مهما كانت الظروف»[٣].

ومن جانبه، فإن فيلبى يعتبر ابن سعود «رجل القدر فى الجزيرة العربية» Arabia's Man of destiny على حد تعبيره[٤] وأن الكابتن «شكسبير» والكلام لا يزال له: «لو لم يُقتل وهو يقوم بتوجيه المدافع السعودية ضد قوات ابن الرشيد (٢٤ يناير ١٩١٥م) لكان الموجه للثورة العربية بدلا من لورانس، ولكان ابن سعود هو الذى قام بها بحافز من حكومة الهند بدلا من الملك حسين، وأنه – فيلبى – يعتبر نفسه خليفة شكسبير»[٥].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن نظام السيطرة الذى وضعته لندن منذ قيام الحرب العالمية الأولى كان يقضي بأن تتبع العراق، ونجد، وحايل، وعدن، حكومة الهند، أما الحجاز فيتبع وزارة الخارجية بواسطة المندوب السامى فى القاهرة[٦].

---

(١) Monroe, Elizabith, Philby of Arabia, PP. 80 – 81.

(٢) FO. 371/ 4145, Dec. 1, 1918.
الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، نفس المجلد، ص ٨٢٦ – ٨٢٧.

(٣) L/ P & S/ 10/ 390.
نفس المجلد، ص ٧٦٤.

(٤) Philby, Arabian Jubilee, P. 68.

(٥) _____, Arabian Days, P. 157 – 158.

(٦) FO. 371/ 5255 – E 8470/ 44.
الجزيرة العربية فى المصادر البريطانية، المجلد الخامس، ص ٢٤٢ – ٢٤٣.

وكانت حكومة الهند حكومة موازية لحكومة لندن، ويرأسها وزير بدرجة نائب للملك Vice Roy، وكان لديها خططها الخاصة بها لتأمين مصالحها، وكانت تعارض ما كان يجرى من مفاوضات بين الشريف حسين ومكماهون حول مستقبل البلاد العربية[١].

من ذلك احتجاجها لدى الخارجية «لأن حرية التصرف التى منحت للسير مكماهون قد مورست دونما اعتبار لمصالح الهند»[٢].

لهذا أخذت تعمل بكل ما وسعها الجهد لإبراز ابن سعود وإسقاط الملك حسين[٣].

وهكذا التقت مخططات حكومة الهند مع طموحات المستر فيلبى، واندفاع ابن سعود لاستعادة ما أسماه «أملاك أجداده»[٤].

وبناءً عليه، تحولت هجر الإخوان إلى معسكرات حربية ولتشكل حركة الإخوان، فى مجموعها، جيشًا دائمًا وثابتًا[٥] والكلام دائمًا للمستر فيلبى.

ومما ذكره الميجور ديكسون فى تقرير له بتاريخ ٥ مارس ١٩٢٠م بعد زيارته لابن سعود: «إن قوة ابن سعود تقوم على الإخوان، الذين يربو عددهم على ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل، وأنه بإمكانه أن يستدعى هؤلاء المقاتلين فى وقت قصير لايصدق، خاصة إذا كانت الحرب جهادا كما فى حالة الحرب ضد الشريف»(حسين)[٦].

دور الإخوان فى إخضاع أقاليم شبه الجزيرة العربية

وصف عبد الله القصيمى الإخوان «بأنهم عفاريت مرسلة.. وأنهم لو كانوا أفضل تنظيمًا لما استطاعت أية قوة، مهما بلغت من العظمة، أن تقف فى سبيلهم»[٧].

---

(١) FO. 371/ 2486, Nov. 6, 1915.

نفس المجلد، ص ٥٨٨.

(٢) Ibid.

(٣) د. محمد على الداؤد، الخليج العربى والعلاقات الدولية، جـ ١، ص ٩.

(٤) مجلة صوت الطليعة، عدد ديسمبر ١٩٧٣م، ص ١٥.

(٥) Philby, Arabian Jubilee, P. 28.

بنواميثان، عبد العزيز آل سعود، ترجمة عبد الفتاح ياسين، ص ١٢٧.

(٦) FO. 371/ 5062 – E 6289/ 9/ 44.

نفس المجلد، ص ١٥٥.

(٧) عبد الله القصيمى، نفس المرجع، ص ٥٤.

وعلـى أرض الواقـع، فإن هجمات الإخوان ضد جيران إمارة نجد لم تتوقف فى جميع الاتجاهات.

لقـد تحولـوا من الهجوم على حائـل، فى أغسـطس ١٩١٨م، إلى الهجوم على «تربه والخرمـة» غربًا فى مايو ١٩١٩م[١]، حيث قاموا بهجـوم ليلى صاعق، أبادوا فيه القوات الحجازيـة بأكملها، ثم اتجهـوا جنوبًا عام ١٩٢٠م واحتلوا مرتفعات عسـير[٢] ومنها إلى حايل مرة أخرى، فى أقصى الشمال، حيث تم احتلالها فى نوفمبر ١٩٢١م[٣] ثم الهجوم على منطقة الجرف، ووادى السرحان، وسكاكة، وقريات الملح، عام ١٩٢٢م[٤].

وفى أواخر هذا العام اتجهوا جنوبًا حيث اسـتولو على إقليم عسـير بأكمله[٥] وهكذا تم حصار الحجاز من كافة الاتجاهات.

ولا يحتاج المرء إلى أية أدلة كى يدرك أن ضابط المخابرات البريطانى فيلبى[٦] هو العقل المدبر، وهو الذى وضع خطط تلك الهجمات وهو الذى حدد مراحلها.

فهو يذكر على الصفحة ٨٧ من كتابه «أيام عربية» Arabian Days أنه هو الذى طلب من ابن سـعود أن يكون الهجوم على حايل قبل الحجاز، ويكاد يقول فى كتابه «أربعون عامًـا فى الصحـراء» Forty Years in the Wilderness أنه هو الذى قام بتقويض الحكم الهاشمى فى الحجاز.

لقد كانت خطة الهجوم على الحجاز تتكون من ثلاثة محاور:

محور رئيسى اتجه إلى الحجاز وتشكل من ٣٠ لواء.

محور آخر اتجه إلى الحدود الأردنية.

محور ثالث اتجه إلى الحدود العراقية.

وكانت مهمة المحورين الأخيرين منع الأمير عبد الله، والملك فيصل من تقديم المساعدات لوالديهما[٧] وذلك حسب توضيح المستر فيلبى نفسه.

---

(١) FO. 686/ 17 (540) May 29.1919.

(٢) Philby, Saudi Arabia, P. 280.

(٣) فؤاد حمزه، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨٦.

(٤) _____, P. 285.

(٥) خير الدين الزركلى، شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود، جـ ١، ص ٢٥١.

(٦) ناصر الدين النشاشيبى، ماذا جرى فى الشرق الأوسط، ص ١٦٤.

(٧) _____, P. 287. بنوا ميشان، نفس المرجع، ص ١٧٠.

واللافت أن الحجاز كان أكثر الأقاليم تعرضًا لعنف الإخوان.

فوصف أمين الريحانى، الذى كان موجودًا وقتها بحجة الوساطة بين الملك حسين وابن سعود، وصف دخول الإخوان الطائف، يوم ٧ سبتمبر ١٩٢٤م «بأنهم كانوا كالسيل الجارف.. لقد كانت ساعة الهول والفجع»[١].

كما تحدث الرحالة «كينيث وليامز» عن «الأفعال اللاإنسانية التى ارتكبها الإخوان، وذبحهم للنساء والشيوخ والأطفال»[٢].

لقد سقط ١٠٧٠ شهيد، لا يزال عبد الله عبد الجبار، الكاتب السعودى البارز، يحتفظ بأسمائهم[٣] عدا الضحايا الذين ماتوا من الجوع والعطش أثناء هروبهم فى اتجاه مكة التماسًا للنجاة[٤].

ومما ضاعف حجم الكارثة أن الطائف، وقتها، كان مزدحما بالمصطافين خاصة المكيين، فكأنما أراد فيلبى خلق حالة من الهلع والرعب فى مكة نفسها حتى تسلّم بدون قتال، تفاديًا لإثارة العالم الإسلامى.

وفى ذلك يقول فيلبى نفسه: «إن مذبحة الطائف على يد الإخوان جعلت من سقوط مكة أمرًا مفروغًا منه، كما أن سكان جدة أخذوا يرتعدون خوفًا مما يمكن أن يحمله إليهم القدر.. ولما وصلت إلى مسامعى أنباء توقع احتلال مكة فى كل لحظة تفاءلت كثيرًا لأن من شأن ذلك أن يمكّن ابن سعود من دخولها والإشراف بنفسه على الأوضاع فى الحجاز»[٥].

وهنا لابد من الإشارة إلى هذه الحقيقة: وهى أن بريطانيا قد قررت زوال عرش الحسين فى الحجاز بعد رفضه التوقيع على معاهدة قدمها له لورانس فى صيف عام ١٩٢١م، لضمان المساعدة والحماية له مقابل الاعتراف بالانتداب على العراق، وفلسطين، وشرق الأردن[٦].

وبشهادة فيلبى نفسه، فإن الملك حسين رفض رفضًا قاطعا الاعتراف بسياسة الوطن القومى لليهود فى فلسطين وهو الأمر الذى كان الإنجليز يسعود لتحقيقه من المعاهدة[٧] «ولما لم تجد

---

(١) أمين الريحانى، نفس المرجع، ص ٣٢٢ – ٣٢٣.

(٢) كينيث وليمز، ابن سعود، ترجمة كامل صموئيل مسيحة، ص ١٣٧.

(٣) عبد الله عبد الجبار، التيارات الأدبية الحديثة، ص ٩٩.

(٤) كينيث وليمز، نفس المرجع، ص ١٣٧.

(٥) Philby, forty years in the wilderness, PP. 111 – 112.

(٦) قدرى قلعجى، الثورة العربية الكبرى، ص ٤٢٨ – ٤٢٩.

(٧) Philby, forty years in the wilderness, P. 107 – 108.

الرشــوة والتهديد فى زحزحة الرجل العجوز» عن موقفه المعارض لسياســتنا والكلام لا يزال للمســتر فيلبى: «فــإن لورانس، وبعد أن أحس باليأس غادر جــدة، بعد أن أوصى الحكومة البريطانية بقطع المساعدات عن الحجاز، والتخلى عن الحسين ليجنى ثمار تصلبه وعناده»[١].

ولم يشــأ فيلبى أن يكمل باقى التوصية التى أبلغهــا لورانس للخارجية فى لندن، فى برقيته يوم ١١ سبتمبر ١٩٢١م والتى جاء فيها: «إن الحسين يشعر بأنه محصن فى مكة.. إنــى أنصح بوقف المســاعدات عنه، ومحاصــرة موانئ الحجاز، وإطلاق ابن ســعود عليه Loosing Ibn Saud on him»[٢].

وكان ابن ســعود، أو السير الشيخ عبد العزيز[٣] المتحفز للانقضاض يكن كراهية شديدة للحجاز والحجازيين بســبب مســاندتهم للحملة المصرية على نجد عام ١٨١١م – ١٨١٨م حيث دمر إبراهيم باشا، الدرعية عاصمة أجداده[٤].

ولقد نقل فيلبى عنه قوله: «إنه يفضل المسيحيين على الحجازيين والأتراك، فالمسيحيون أهل كتاب، وأقل ضلالا منهم»[٥].

ويضيــف جــورج كــيرك إلى ذلك، أن ابن ســعود كان لا يرى فى مكة والمدينة ســوى مدينتين لعبادة هرطقية»[٦].

ولأن الإخوان يطيعون إمامهم طاعة عمياء[٧] فإن ابن سعود لم يجد صعوبة فى إقناعهم بأن الحجازيين أقل استحقاقًا للرحمة من المسيحيين واليهود[٨].

وفى هذا الســياق يقول حافظ وهبه: «إن ابن ســعود لما عرض على الإخوان مســألة غزو الحجاز هشــوا وبشوا للمشروع لأنهم ســيطهرون بيت الله من البدع وينشرون دين الله الصحيح»[٩].

---

(١) Philby, Arabian Days, P. 228.

(٢) FO. 686 /93 /103 /36, Sept. 11, 1921.

(٣) FO. 371/ 4147, June 27, 1919.(–) FO. 371/ 1686, Aug, 1919.

(٤) Kelly, J. B, Arabia; The Gulf and the west, PP. 229.

(٥) Monroe, Elizabith, Ibid, P. 60.

(٦) Kirk, E. George, A Short History of the Middles East, PP. 160.

(٧) Dickson, Ibid, P. 154.

(٨) أرنولد ويلسون، الخليج العربى، ترجمة د. عبد القادر يوسف، ص ٣٢٦.

(٩) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٢٥٢.

وفى رسـالته لأمين الريحانى، وصف ابن سـعود الحرب بينه وبين الملك حسين بأنها حرب بين «حزب الرحمن» و«حزب الشـيطان»[١] ولهذا كانت عبارة التشجيع على القتال بين الإخوان هى: «هبت هبوب الجنة وينك (أين أنت) يا باغيها»[٢].

وجاء فى تقرير السير «بولارد» Bullard الوزير البريطانى المفوض فى جدة، بتاريخ ٢٤ سـبتمبر ١٩٢٤م: «كل الدلائل تشـير إلى أن الغزاة أظهروا تعصبًا دينياً شديدًا فى تعاملهم مع ضحاياهم الذين كانوا فى نظرهم كفارًا أو مشركين»[٣].

وتظهر البرقيات التى كان يبعث بها ابن سـعود إلى حافظ وهبه مدى سـعادته لما كان يحدث من مذابح.

ففـى برقيـة بتاريخ ١٥ صفـر ١٣٤٣هـ (سـبتمبر ١٩٢٤م) قال «حالاً وفد علينا بشـراء الإخوان، أهل الغطغط»[٤] يبشـروننا بما مَنّ الله به من عزهم وسـلامتهم.. إلخ[٥] وفى برقية تالية، قال: «أحوالنا جميلة.. حالاً وردت علينا بشائر جندنا الذى يحاصر الطائف.. إلخ»[٦].

ولم تكـن الطائف وحدها التى تعرضت لمذابح الإخوان، بل كانت هناك مذبحة أخرى شهدتها قرية «العوالى» القريبة من المدينة المنورة[٧] كى تسلم بنفس الكيفية التى سلمت بها شقيقتها مكة.

ويكشف فيلبى عن دوره، بقوله: «إنه ذهب إلى «رابغ» حيث التقى بالأمير محمد (أبى شـرّين) النجل الثالث لابن سـعود، وهو فى طريقه إلى المدينة، التى سلمت يوم ٥ ديسمبر ١٩٢٥م[٨] بعد أن أطلق الإخوان بعض الطلقات على قبة المسجد النبوى طبقًا للتقرير الذى بعث به المستر «جوردان» بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٢٥م[٩].

---

(١) أمين الريحانى، الرسائل المتبادلة مع الملك عبد العزيز آل سعود، ص ٦٤.

(٢) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٢٧٥.

(٣) FO. 371/ 10014 – E 8654/ 7624/ 91.
الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية، المجلد السابع، ص ٥٢١.

(٤) الغطغط هجرة قبيلة عتيبة.

(٥) حافظ وهبه، خمسون عامًا فى جزيرة العرب، ص ٢٣٤.

(٦) نفس المرجع، ص ٢٣٩.

(٧) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها، جـ ٢، ص ٣٨٢.

(٨) Philby, Arabian Jubilee, P. 76 – 77.

(٩) FO. 371/ 10809 – E 5530/ 10/ 91, Sept. 11, 1925, Jedda Diaries, Vol. 2, P. 331.

وفى ذلك يقول ديكسون إن سقوط المدينة قد أدى إلى سقوط جدة حيث تنازل الملك «على» عن العرش[1] وغادرها إلى بغداد يوم ١٤ ديسمبر ١٩٢٥م، بعد أن سلم البلاد للمعتمد البريطانى[2] الذى قام بدوره بتسليمها إلى ابن سعود الذى دخل جدة يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥م[3].

وهذا المشهد الأخير كان بالغ الدلالة، إذ كشف للإخوان بطريقة عملية ما كان يخفيه عنهم إمامهم طيلة العشر سنوات الماضية، فبينما كان يتصل بالإنجليز فى مغارات الأحساء، أو بواسطة موظفين غير نجديين، فإنه الآن، يتصل بهم مباشرة وفى العلن.

ثورة الإخوان:

يمكن القول إن حركة الإخوان قد نشأت وهى تحمل بذور معارضة للحكم السعودى، فالحركة قامت بمبادرة من جماعات الإخوان الأول، وبمعزل عن الإرادة السعودية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن السجل التاريخى لقبائل مطير، وعتبة، والعجمان حافل بالصراع ضد السعوديين منذ الإمارة السعودية الأولى، وحتى الدولة التى أسسها ابن سعود، مرورًا بالإمارة الثانية التى أسسها فيصل بن تركى.

ومن جهة ثالثة، فإنه وبالرغم من الدور العسكرى الكبير الذى قام به زعماء الإخوان، ورغم أنهم هم الذين اقتحموا أقاليم شبه الجزيرة العربية وليس ابن سعود[4] فإنهم حرموا من ممارسة أى دور سياسى، أو إدارى فى النظام السعودى.

كما شعر الإخوان بأن ابن سعود قد خدعهم، وأنه استغل حركتهم الدينية لتحقيق مطامعه، ولتدعيم مركزه فى شبه الجزيرة العربية[5] وأنه بشحنه لهم ضد سكان الأقاليم قد ورطهم مع سكانها، مما أساء إلى سمعتهم.

---

(١) Dickson, Ibid, P. 285.

(٢) FO. 371/ 11442 – E 367/ 91, Vol. 2, P. 359, J. D., P. 359.
L/ P & S/ 10/ 115 – E 363/ 11/ 115, J. D, P. 365.

(٣) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ص ٥٥٥.

(٤) مذكرات جلوب باشا، ص ١٣١.

(٥) عبد الفتاح حسين أبو علية، تطور المجتمع السعودى فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود، رسالة دكتوراة (جامعة القاهرة ١٩٧٧م) ص ١٣٠.

ومن جهة رابعة، فإن ابن سعود بإعلان نفسه ملكًا، يوم ٨ يناير ١٩٢٦م، وتخليه عن لقب الإمامة[١] قد أثار غضب الإخوان، لأنه طالما قام بتحريضهم ضد الشريف حسين، بعد إعلان الأخير نفسه ملكًا عام ١٩١٦م، بدعوى أنه يشرك نفسه مع الله باتخاذ أحد أسمائه[٢].

ومما يقال، فى هذا الصدد، أن جماعة من الإخوان دخلوا على الملك عبد العزيز، وهم شاهرون سيوفهم، مهددين بقتله إن لم يتخل عن اللقب.. وأنه وعدهم خيرًا، ولكنه بعد خروجهم، هاجم الإخوان، ووصفهم بالجهل والتخلف، واسترسل فى التشنيع بهم[٣].

ومما يذكره الجنرال كلايتون، ضابط المخابرات البريطانى المعروف، والذى زار الملك وقتها، أن الإخوان عابوا على الملك فرض رسوم وضرائب على الحجاج، وتحصيله رسوم جمركية على مواد محرمة، كالسجائر وغيرها، ولكن انتقاداتهم الأكثر شدة له كانت بسبب تعامله مع الإنجليز[٤] وخضوعه لإملاءاتهم[٥].

وكان هؤلاء يتابعون الموقف عن كثب، إذ كتب المقيم السياسى فى الخليج، «مور» J.C. More لوزير المستعمرات برقية بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٩٢٦م جاء فيها: «إن هناك حالة من التوتر تسود علاقات ابن سعود بزعماء الإخوان الثلاثة: فيصل الدويش (شيخ قبيلة مطير) وسلطان بن بجاد (شيخ قبيل عتيبة) وضيدان بن حثلين (شيخ قبيلة العجمان)»[٦].

واتهم فيلبى، الزعماء الثلاثة بأنهم حاولوا وضع ابن سعود فى مأزق حرج أمام مسئولياته تجاه الإنجليز[٧] وعليه، فقد قرر الملك تسريح الإخوان وتشكيل قوة أخرى لحفظ الأمن فى البلاد[٨].

---

(١) FO. 371/ 11442 – E 1399/ 367/ 91.

فهد القحطانى، زلزال جهيمان فى مكة، ص ٤١.

(٢) فهد القحطانى، نفس المرجع، ص ٤١.

ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، ص ٢٥٩.

(٣) فهد القحطانى، نفس المرجع، ص ٤١.

(٤) Clayton, K. C. M. G, An Arabian Diary, PP. 265.

(٥) Dickson, Ibid, P. 285.

(٦) FO. 371/ 11442 – E 6298, Oct. 23, 1926.

(٧) Philby, Saudi Arabia, P. 263.

(٨) FO. 371/ 11442 – E 5409/ 367/ 9, Sept. 3, 1926, J. D. Vol.2, P. 403.

وعلـى هذه الخلفية عقد الإخوان مؤتمرًا فـى الأرطاوية فى نهاية عام ١٩٢٦م، حضره الزعماء الثلاثة[١] كما انضم إليهم «فرحان بن مشهور» عن قبيلة الرولة[٢] وبعثوا برسالة إلى الملك، الذى كان فى مكة. تضمنت عبارات قاسية، فوصفوه بالغرور، والأنانية، وأنه خان العهـد والديـن.. وذكروه «بأنهم لم يحاربوا معه إلا لنصرة الدين، وفى سـبيل الله العظيم لا من أجل إحلاله محل الحسين كملك عظيم[٣].

وأقسم الزعماء المجتمعون بالوقوف صفًا واحدًا فى وجه ابن سعود[٤].

يقول الجنرال جلوب، إن الدويش، وسـلطان بن بجـاد، وضيدان بن حثلين قد قرروا الإطاحة بابن سعود، وتنصيب أنفسهم حكامًا على نجد، والحجاز، والأحساء[٥].

وهو تقسيم منطقى يتفق وتوزيع القبائل، ومناطق نفوذ كل شيخ من الشيوخ الثلاثة[٦].

والواقـع فإن الإخوان، بعد احتلالهم للحجاز، كانوا، فـى أوج قوتهم، وكانوا الأكثر ديناميكية[٧] وكانوا يسـتندون إلى رصيد حربى هائل، وكانوا فى وضع يمكنهم من الوقوف فـى وجه الملك وتحديـه، ولأن القبائل، عمومًا، تمجد القوة، فإنها كانت على اسـتعداد للانضمام للإخوان ورفض سلطة الملك عبد العزيز[٨] الذى وصف أحد المؤرخين، موقفه «بأنه كان أدق من الشعرة وأحد من السيف، ذلك أن روح النقمة عليه قد شملت أنحاء البلاد»[٩].

وكما يضيف ديكسـون، فإن الشعور بالعداء ضده قد تعدى الإخوان، والقبائل، إلى بعض أفراد العائلة السعودية ذاتها، لقد كان هناك خطر حقيقى، خاصة بعد أن طلب فيصل الدويش، وسـلطان بن بجاد من ابن سـعود إثبات إيمانه بالله بإعلان الجهاد ضد الإنجليز[١٠].

---

(١) Wahba, Sheikh Hafiz, Arabian Days, PP. 137.

(٢) مجلة صوت الطليعة، عدد ديسمبر ١٩٧٣م، ص ٢٣.

(٣) Armstrong, H. C, Ibn Saud, PP. 165.

(٤) Dickson, Ibid, P. 286.

(٥) Globb, War in the Desert, PP. 232.

(٦) Habib, Ibid, P. 128.

(٧) Ibid, P. 117.

(٨) مذكرات جلوب باشا، ص ١٣١.

(٩) صلاح الدين المختار، نفس المرجع، ص ٤٣٨ – ٤٣٩.

(١٠) Dickson, Ibid, P. 295 – 296.

نفس المرجع.

دور الإنجليز فى تدمير حركة الإخوان:

ما أن استبدلت الحكومة البريطانية معاهدة الحماية عام ١٩١٥م بمعاهدة جدة، التى وقع عليها الملك عبد العزيز يوم ١٧ سبتمبر ١٩٢٧م[١] حتى هاجم الإخوان مخفر «البوصية» على الحدود السعودية – العراقية يوم ٥ نوفمبر، من نفس العام، وقتلوا كل من كانوا فيه[٢].

وكان ممثل بريطانيا فى جدة «استون هوربيرد» قد أخبر حكومته بمعارضة الدويش لإقامة أية مخافر عسكرية على الحدود، بمذكرة بتاريخ ١٧ أكتوبر[٣] وكما يوضح ديكسون فإن الدويش، الذى يرفض إقامة الحدود الهندسية، شن حملة دعائية مكثفة ضد الملك، بدعوى أن وجود المخفر لهو الدليل على خضوع ابن سعود للإنجليز.. ولقد بلغ من تأثير الحملة أن القبائل أخذت تستحث بعضها للجهاد ضد العراق على اعتبار أن الإنجليز هم الذين يتولون الدفاع عنه[٤].

ومما يذكره جلوب باشا[٥]، الذى كان مسئولاً وقتها عن مخفر البوصية «إن غارات الإخوان لم تتوقف، وقد وصلت إحدى هذه الغارات إلى موقع لا يبعد سوى ٢٥ ميلا عن قاعدة القوات الجوية فى «الشعيبة» وأنه لو واصل الإخوان تقدمهم لكان فى إمكانهم تدمير تلك القاعدة برمتها»[٦].

والواقع، فإن قيام الإخوان بتلك الغزوات على نطاق واسع، كان تحديًا للإنجليز، ووضع الملك فى موقف حرج، فهو إن استنكر أعمال الإخوان يكون بذلك قد ظهر بمظهر المتساهل فى حقوق بلاده، وإن أيدهم يكون قد أخل بالتزاماته مع الإنجليز[٧].

إذ تنص المادة السادسة، من معاهدة جدة، على التزامه بعدم التعرض للمحميات والإمارات والمشيخات التى لها ارتباطات ببريطانيا، أو كان لبريطانيا نفوذ فيها.

---

(١) _____, The Arab Desert, PP. XXIV.

(٢) _____, Kuwait… P. 287

فاسيليف، العربية السعودية، ٣٣٠ – ٣٣١.

(٣) FO. 371/ 12250 – E 4389/ 644/ 91, Oct. 17, 1927. J. D., Vol. 2, P. 473.

(٤) Dickson, Ibid, P. 285 – 287.

(٥) كان وقتها برتبة ميجور، وكلف بتأمين الحدود النجدية – العراقية منذ عام ١٩٢٠م.

(٦) مذكرات جلوب باشا، ص ١٣١.

(٧) مجلة صوت الطليعة، نفس العدد، ص ٢٥.

وطبقًا لمصدر سعودى، فإن الملك بعث إلى المندوب السامى البريطانى فى بغداد، والحكومة العراقية برسالة تحمل استنكاره لما حدث[١].

كما بعث برسالة أخرى، تحمل نفس المعنى، للحكومة البريطانية[٢] التى سيطرت عليها حالة من القلق.

ودليلنا على ذلك قيامها بتكليف المعتمد فى جدة بتعيين جواسيس Gossips لمراقبة الإخوان[٣] الذين تردد عنهم أنهم كانوا يخططون للانطلاق نحو فلسطين.

وفى هذا الصدد يقول ديكسون: إنه لما زار ابن سعود فى الرياض، بادره بقوله: إن الصعوبة هى فى رعايانا العرب وقبائل الإخوان.. فبالنسبة لقضية فلسطين فإن حواسهم فى عيونهم فقط، ولا يستطيعون النظر أبعد من ذلك قيد شعرة، وهم يلومونني لعدم وضوح موقفى من تلك القضية، ولإطاعة أوامر الإنجليز[٤].

ومن جانبه، حذر «هربرت صموئيل» أول معتمد بريطانى فى فلسطين من خطر الإخوان على فلسطين[٥].

وفى رسالة من فلسطين، قال مراسل «الديلى ميل» البريطانية: «إن الرسميين البريطانيين يرقبون بمزيد من الاهتمام التطورات التى تجرى فى جزيرة العرب»[٦].

أما وزير الخارجية «شمبرلين» فقد وجه انتقاده لابن سعود لعجزه عن السيطرة على الإخوان[٧] وعبر عن استيائه قائلا: «لقد وضعنا فلوسنا عند ابن سعود وها نحن الآن، كما يبدو أمام خطر داهم».

We have put our money on Bin Saud, and now we seem to be in grave danger[٨].

---

(١) خير الدين الزركلى، نفس المرجع، جـ ٢، ص ٤٧٦.

(٢) FO. 371/ 12242 – E 5616/ 56/ 91, Dec, 30, 1927.

(٣) FO. 371/ 13010 – E 484/ 484/ 91, Dec. 1, 1929.

(٤) Dickson, Ibid, P. 390.

(٥) Habib, Johns, Ibid, P. 109.

(٦) مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم، ملف الملك عبد العزيز آل سعود، جـ ١، ص ٩٦.

(٧) FO. 371/ 12988 – E 573/ 91. Feb, 8, 1928.

in Letherdale, Clive, Britain and Saudi Arabia (1925 – 1939) PP. 101.

(٨) FO. 371/ 12241 – E 56151/ 91, Dec. 29, 1927.

ومـن ثـم، عقدت الحكومة البريطانيـة اجتماعًا يوم ١٧ فبرايـر ١٩٢٨م لاختيار أحد البدائل الثلاثة[١].

الأول: فرض حصار بحرى على كل من الخليج، والبحر الأحمر، والتعامل مع الإخوان بنفس الطريقة التى اتبعها محمد على باشا مع الوهابيين فى القرن التاسع عشر.

الثانى: إقامة تحصينات على طول امتداد الحدود.

الثالث: قيام سـلاح الطيران الملكى (البريطانى بقصـف تجمعات الإخوان، وتدمير «الإرطاويـة» ذاتهـا، التى حولها الدويـش إلى مركز قيادة عامة لتحريـك القبائل ضد الإنجليز والملك[٢].

وما أن اسـتقر الرأى على الحل الأخير، حتى كلف قائد سـرب الطيران الرابض فى الكويـت، بقصف الثوار حتى داخل نجد نفسـها[٣] الأمر الـذى أدى إلى إثارة القبائل بما فيهـا القبائـل المتحالفة مع الملك[٤] وبكلمات حافظ وهبه لأحـد الرسميين البريطانيين فى القاهرة: «فإن الملك فقد السـيطرة على القبائل.. وأن الوضع جد خطير»[٥] حتى بلغ الأمر به إلى نقل عائلته إلى الحجاز[٦].

وقعة السبلة.. ودور فيلبى فى هزيمة الإخوان:

تظاهـر الملك بميله للتصالح مع زعماء الثورة، وانطلت الحيلة على الدويش، الذى عقد صلحًا مع الملك يوم ٢٨ مارس ١٩٢٩م، ولما طلب منه الدويش التوسط لعقد صلح مماثل مع سـلطان بن بجاد، مع وعد منه بتقديم عطايا ضخمة لسـلطان إذا ما استسلم، فإن الدويش طلب من الملك، بواسـطة مبعوثه، أن يتعهد بذلك كتابة، وبينما كان الدويش، وسـلطان ابن بجاد فى انتظار الرد إذا بالملك يشـن هجوما مباغتا فجر يوم ٢٩ مارس على السـبلة (التى كانت تجتمع فيها قوات مطير، وعتيبة) أى أن الهجوم قد حدث وهما غير مستعدان

(١) CO/ 58117/ 28: 1790/ 130, Feb. 17, 1928.

(٢) Lacey, Ibid, P. 204.

(٣) Armstrong, Ibid, P. 269.

(٤) Ibid.

(٥) FO. 371/ 13010 – E 1999/ 484/ 91, March. 31, 1928. J. D., Vol. 3, P. 11 – 12.

(٦) Ibid, P. 12.

لمواجهته، على اعتقاد منهما بأن هناك مفاوضات سوف تستمر بين الطرفين، لعقد الصلح لبحث كافة القضايا طبقًا للشريعة الإسلامية[١].

ومما قاله القنصل البريطانى فى جدة «إن هناك شعورًا متزايدًا بالعداء ضد ابن سعود بسبب لجوئه إلى الغدر فى حربه ضد الدويش وابن بجاد[٢] وبينما أصيب الأول بجراح خطيرة، فإن الثانى تمكن من الفرار، كما فقد الثوار نحو ٢٥٠ مقاتل دون قتال»[٣].

وهذه أول معركة يخسرها الإخوان منذ نشأتهم[٤] بسبب المباغتة والمفاجأة واختلال التوازن العسكرى الذى مال لصالح الملك بفضل جهود فيلبى، الملقب بـ «الملك غير المتوج فى الجزيرة العربية»[٥].

فهو أول من حصل على توكيل شركة «فورد» للسيارات عقب احتلال الحجاز مباشرة، كما يذكر هو نفسه[٦].

وبحلول عام ١٩٢٩م، كان هناك أسطول كبير من السيارات، للاستخدامات العسكرية مثل سيارات اللورى لنقل الأفراد[٧] وسيارات ٤ × ٤ (نصف نقل) مثبت عليها مدافع رشاشة[٨].

ومما قاله ديكسون فى هذا الشأن: «إن السيارات قد ضاعفت من قدرة ابن سعود على التحرك، وساعدته فى نقل وتموين القوات بالسرعة المطلوبة، كما استطاع بالسيارات أن يأخذ الثوار على حين غرة قبل أن يستعدوا للقتال»[٩].

وروى المؤرخ أحمد عبد الغفور عطار كيف أن الأمير محمد بن عبد العزيز (أبو شرّين) وكان عمره حينئذ لا يتجاوز ١٨ عامًا، قاد رتلاً من السيارات المسلحة فقتل كل المحاربين فى دقائق معدودة[١٠].

---

(١) Kostiner, Joseph, Making of Saudi Arabia, PP. 135 – 136.
Dickson Ibid, P. 303 – 304.

(٢) FO. 371/ 1372/ – E 3449, June 7, 1929.

(٣) Dickson, Ibid, P. 304.

(٤) Lacey, Ibid, P. 213.

(٥) مجلة صوت الطليعة، عدد مارس ١٩٧٤م، ص ٤٠.
أمين هويدى، كيسنجر وإدارة الصراع الدولى، ص أ.

(٦) Philby, Arabian Days, P. 258 – 266.

(٧) Izzard, Molly, Ibid, P. 67 – 68.

(٨) Lacey, Ibid, P. 213 – 214.

(٩) Dickson, Ibid, P. 329.

(١٠) أحمد عبد الغفور عطار، نفس المرجع، ص ٥٩٢ – ٥٩٣.

وفى السياق نفسه قال محمد المانع، مترجم الملك: «كان من بين قواتنا فى معركة السبلة، مفرزة من حملة الرشاشات، فكانت النتيجة حاسمة ففى بضع ثوانٍ كان كل رجال الإخوان المتقدمين قد قتلوا أو جرحوا جراحًا بليغة، ولما رأى الإخوان الذين لم يصابوا ما حدث شرعوا فى الانسحاب فورًا.. وهكذا انتهت معركة السبلة التى لم تدم أكثر من نصف ساعة»[١].

وبشهادة الخبير الجيولوجى، الأمريكى «تويتشيل» الذى كان يقوم بالتنقيب عن الذهب فى «مهد الذهب» فإن فيلبى قد حصل على توكيل شركة «ماركونى» لصناعة الأجهزة اللاسلكية[٢].

وطبقًا للمصادر السعودية، فإن تلك الأجهزة قد وضعت فى جميع المدن، حتى يتمكن الملك من الحصول على آخر المعلومات، وتوجيه قواته بسرعة إلى أى مكان يحتاج أن يوجهها إليه[٣] كما مكنته من تنسيق حملاته العسكرية، وتحقيق السيطرة الميدانية[٤] وعن طريق تلك كانت المخابرات البريطانية تبعث بتقاريرها عن تحركات الإخوان إلى الملك[٥] وكان هذا الأخير يقوم بإبلاغ الإنجليز عما يجرى فى الميدان[٦] ولعل هذا ما يفسر لنا مرافقة المترجم «محمد المانع» للملك فى كل تحركاته أثناء القتال[٧] حسبما تحدث عن نفسه.

وهو محمد المانع، الذى أفادنا بأن الملك كان يدفع ٦ جنيهات ذهبية لكل رئيس قبيلة ليحارب معه، كما يدفع ٣ جنيهات لكل فرد من رجال القبيلة، وأن الملك قد تمكن، بهذه الوسيلة، من تشكيل قوة يتراوح عددها ما بين ٣٠ – ٤٠ ألف مقاتل[٨] وهذا ما يثير تساؤلنا حول مصدر أو مصادر تلك الأموال؟

---

(١) Almana, Mohammed, P. 105 – 106.

(٢) Twitchell, Ibid, P. 173.

(٣) Almana, Mohammed, Ibid, P. 123.

(٤) Lacey, Ibid, 217.
Izzard, Molly, Ibid.

(٥) Lacey, Ibid.

(٦) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربى، ص ٩٨.

(٧) انظر كتاب بعنوان: Mohammed Almana, Arabia Unified

(٨) Almana Mohammed, Ibid.

ونخلص إلى القول، بأن مقاومة الإخوان للأجهزة اللاسلكية والسيارات لم تكن بسبب رفضهم للتقدم والتطور كما زعم التويجرى[١] ولكن كانت معارضتهم تنطلق من خشيتهم أن يستخدم الملك التكنولوجيا للسيطرة عليهم، خاصة بعد أن تزعزعت ثقتهم به.

وكما قال الميجور ديكسون فإن الهدف من الحصول على السيارات والأجهزة اللاسلكية كان من أجل السيطرة على الإخوان... راكبى الجمال[٢].

لقد كان المشهد فى معركة السبلة فيه شىء من الدراما.. إذ نرى فيه مجموعة من البدو ليس معهم سوى جمالهم وبنادقهم العتيقة يواجهون طرفًا يمتلك معدات وأسلحة حديثة[٣].

ومن مفارقات المشهد، قيام الإمام السلفى بالتنسيق مع الإنجليز من أجل إبادة تلك الجماعة.

ولقد كشف المعتمد البريطانى عن ذلك التنسيق بقوله لوزير الخارجية: «إن ابن سعود قد أبلغه بقرار الهجوم على السبلة قبل شهر من موعده»[٤].

وعلى هذا المنوال سار التنسيق والتعاون أثناء ثورة الإخوان الثانية، حيث قرر الدويش الانتقام من خصمه، بسبب الغدر الذى تعرض له[٥].

وطبقًا لمصدر سعودى، فإن قبيلة عتيبة تمكنت من فصل الحجاز عن نجد، وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والمدينة والخليج[٦] وما أن انضم فرحان بن مشهور، شيخ «الرولة» حتى كان شمال نجد كله من جبل شمر حتى الخليج فى أيدى الثوار.

وعلى الفور، بادرت الحكومة البريطانية بتزويد الملك بأربع طائرات من طراز D. H. 9 بطياريها[٧] وضعت فى جزيرة «تاروت» القريبة من القطيف[٨] حتى لا يراها الثوار[٩].

---

(١) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجرى، نفس المرجع، ص ٢٠٠ – ٢٠١.

(٢) Dickson, The Arab Desert. P. XXIII.

(٣) Lacey, Ibid, P. 217.

(٤) FO. 371/ 13728 – E 3449/ 94, June 27, 1929, J. D. Vol. 3, P. 69.

(٥) Dickson, Kuwait…, P. 304.

(٦) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٢٨٥.

(٧) Philby, Saudi Arabia, P. 309.

(٨) Dickson, Ibid, P. 315.

(٩) FO. 371/ 13228 – E 6289/ 44, J. D. Vol. 3, P. 91.

كمـا نقلت البحرية البريطانية ١٠,٠٠٠ مقاتل من ميناء جدة إلى ميناء العقير[١] بعد أن تعذر نقلهم براً بسبب الوضع الذى فرضته قبيلة عتيبة.

هـذا فضلاً عـن تزويد الملك بـ ٣,٠٠٠ بندقية حديثة مـع ٣ ملايين طلقة، طلب الملك تسليمها فى الميناء المذكور[٢].

أما حكومة الهند فلم تقصر هى الأخرى، إذ تكفلت بإرسـال كل ما يطلبه ابن سـعود، على حد ما ذكره فيلبى[٣].

وبالفعل فلقد أرسـلت تلك الحكومة الباخرة «فولين فلز» Fallenfels محملة بالأسلحة والذخائر إلى ميناء العقير بعد أن أشاعت سلطات الميناء بأن الباخرة محملة ببضائع، وأنها قادمة من ألمانيا[٤].

ولكن ما هو أكثر أهمية من ذلك، هو قرار حكومة الهند بنقل ضابط المخابرات، الميجور ديكسون من البحرين إلى الكويت، فى تلك المرحلة، ليعمل وكيلاً سياسيًا هناك[٥].

ولد ديكسـون عام ١٨٨٢م فى القدس، حيث كان والده نائبًا للقنصل البريطانى، وأمه فى الرضاعة من قبيلة عنزة[٦] نفس القبيلة التى ينتمى إليها ابن سعود.

وربما هذا ما يفسر قول ديكسون أنه لما زار ابن سعود فى الهفوف عام ١٩٢٠م استقبله بهذا البيت[٧]:

يـا ضيفنـا لـو زرتنـا لوجدتنـا نحن الضيوف وأنـت رب المنـزل

ومن جانبه، فإن ديكسـون كان شـديد الإعجاب بابن سعود وقد عبر عن إعجابه هذا لأمين الريحانى، لدى زيارته له فى البحرين عام ١٩٢٢م بقوله: «ابن سعود رجل عظيم، وقد يكون نظرى فيه نظر من يؤله الأبطال. هو الحاكم العربى الوحيد الذى تمكن من تأديب البدو وعرف كيف يحكمهم.. عنده السيف»[٨].

---

(١) FO. 371/ 13728 – E 44, J.D., P. 70.

(٢) FO. Ibid.

(٣) Philby, Arabian Jubilee, P. 108.

(٤) FO. 371/ 13728 – E 4713/ 94 – 91, J. D. Vol. 3, P. 79.

(٥) عين فى الكويت بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٢٩م. (Dickson, Ibid, P. 305)

(٦) Philby, Arabian Days, P. 115 – 116.

أمين الريحانى، جـ ٢، ص ٢٥.

(٧) Dickson, Ibid, P. 333.

(٨) أمين الريحانى، نفس المرجع.

ومن يقرأ كتابه «الكويت وجاراتها» يجد أنه لم يترك وسيلة إلا اتبعها لإخضاع الثوار، وإرغامهم على الاستسلام للملك عبد العزيز.

ففى شـــهر يونيه (١٩٢٩م) عقب توليه الوكالة، بعث بتعليماته إلى الشيخ أحمد، أمير الكويت «بألا يسمح للعجمان، وغيرهم من الثوار، بالحصول على المؤن من الكويت، أو أن يأتى أحدهم إليها، وأبلغ ابن سعود بذلك، على حد قوله[١].

وأنه لما أرســل ابن سعود احتجاجًا، في نفس الشــهر، اتهم فيه الكويت بتزويد قوات العجمان، وفرحان بن مشــهور، بالمؤن والذخائر، فإنه – ديكسون– قام بإجراء تحقيقات دقيقة بنفسه، وأن الشيخ أحمد أثبت بالدليل القاطع أنه ينفذ تعليمات الحكومة البريطانية، المتعلقة بهذا الموضوع، بكل أمانة»[٢].

وما أن دعا فيصل الدويش الشيخ أحمد للانضمام إلى الثوار، مع طلب السماح له بإقامة مخيم فى «الصبحية» وبالقدوم إلى الكويت لشــرح خططه، وكذلك الحصول على مؤن، مع وعد منه بإعادة الأراضى التى اقتطعت من الكويت فى عهد الشيخ سالم، حتى تصدى له ديكسون، وأبلغ الشيخ أن يتعامل مع «مطير» كما يتعامل مع العجمان، وأن يمنع الدويش، أو أيًا من أتباعه، من عبور الحدود، وهدد ديكســون بأنهم سيتعرضون للقصف الجوى إذا ما حاولوا ذلك[٣].

ويمضى ديكســون فيقول: «لقد حاول الدويش مرة أخرى، فى يوم ٢٨ يونيه اســتمالة الشــيخ أحمد على الانضمام إلى الثوار، من خلال رســائل بعث بها إليه مع كبار زعمائه الإخوان، وابنه عبد العزيز، ومع أن مضمون الرســائل قد أثر تأثيرا عميقًا فى نفس حاكم الكويت وشعبه، إلا أنه من حسن الحظ، أن الشيخ أحمد ورغم شدة الإغراء ظل أمينا على وعوده التى قطعها لى، بصفتى وكيلاً سياسيًا لحكومة صاحب الجلالة".

مشــيرًا إلى «أن خلع ابن ســعود كان أمرًا مؤكدًا فيما لو انضم الشيخ إلى الثوار، ووقفت الحكومة البريطانية موقف الحياد»[٤].

---

(١) Dickson, Ibid, P. 306.

(٢) Ibid.

(٣) Dickson, Ibid, P. 307 – 308.

(٤) Dickson, Ibid, P. 308.

وكم كان ديكسون سعيدًا لأنه «تلقى فى ١٠ أغسطس رسائل مطولة من ابن سعود يشكرنا فيها على جهودنا فى قطع المؤن عن الثوار»[١].

ويستمر ديكسون فى استعراض نضاله من أجل إخماد ثورة الإخوان قائلاً: «فى خلال تلك الفترة أخذ اللاجئون النجديون المقيمون فى العراق يتدفقون إلى الكويت فى طريقهم إلى الثوار، فصدر الأمر باعتقال، أو إرجاع كل شخص يصل من العراق ويشك فى أنه يرغب بالانضمام إلى جيش الثوار[٢].

الأمر الذى شجع الملك على أن يطلب من الحكومة البريطانية، بواسطة الوزير المفوض فى جدة «أن تقوم الطائرات البريطانية بقصف الثوار داخل الكويت نفسها، كما طلب مساعدة حاكمها عسكريًا حتى يتمكن من تأمين حدود بلاده، وأن يتصدى للثوار إن حاولوا اللجوء إليها، أو الحصول منها على الأغذية والمؤن».

ولم يكتف الملك بقصف الثوار إن حاولوا دخول الأراضى الكويتية والعراقية، بل إنه كان لا يرى مانعًا من قيام الطائرات البريطانية من تعقب الثوار، وقصفهم داخل أراضى نجد نفسها[٣].

ولأن المجال لا يتسع فى هذه العجالة لذكر العمليات البريطانية – السعودية المشتركة (الجوية والبرية) ضد تجمعات الثوار، فإنا نكتفى بالقول إنه كان من المستحيل أن يستمر الثوار فى نضالهم، خاصة بعد تعرضهم ونسائهم وأطفالهم وجمالهم ومواشيهم للحصار اللاإنسانى.

ولقد بلغ الحال بالميجور ديكسون أن هدد الدويش بقصفه من الجو لو ترك جماله تشرب من بئر «السبعية» وبئر «الطويل»، كما طلب من شيخ الكويت وضع حراسة على كافة الآبار حتى لا يتكرر ما حدث[٤].

واللافت، أن الوزير البريطانى فى جدة هو الذى أبلغ وزير الخارجية «شمبرلين» بذلك، ولم نقرأها فى كتاب ديكسون ربما لأنها تثير السخرية.

---

(١) Dickson, Ibid, P. 310.

(٢) Dickson, Ibid, P. 308 – 309.

(٣) FO. 371/ 13728 – E 4134/ 94L 91, J. D, P. 74.

(٤) FO. 371/ 13128 – E 6790/ 94/ 91, Dec. 30, 1929. J. D, Vol. 3, P. 94.

لقد تعمد ديكسون خلق صعوبات إدارية وتموينية أمام الدويش حتى لا يقوم بمهاجمة نجد لمساندة ثوار عتيبة الذين أنزل بهم ابن سعود هزيمة ساحقة، وهذا ما يستشف من كلامه[١].

والواقع، فإن هزيمة ثوار عتيبة كانت بمثابة ضربة قاسية للدويش «قائد التجمع القبلى الثورى»[٢].

ومما ضاعف قسوتها أنها جاءت فى أعقاب مقتل ابنه «عُزَيِّزْ» فى معركة «أم الرضمة» مباشرة[٣] وبتعبير حافظ وهبه «فإن هاتين الضربتين قد فتت من عضد الدويش وهزته هزًا عنيفًا»[٤].

ومما قاله ديكسون: «إن انهيار الثورة بدأ يوم مقتل عُزَيِّزْ، لقد صار الدويش مكتئبا، جزعا، فاقدا الأمل، فاقدا الشهية للطعام، مترددًا فى اتخاذ القرارات»[٥].

وانتهز ديكسون الفرصة، وأخذ يلح عليه بأن يسلم نفسه لسلاح الطيران، وهذا ما فعله يوم ٣٠ يناير ١٩٣٠م، هو وزميله «سهود بن لامى» بعد أن استسلم «نايف بن حثلين»[٦] يوم ٩ يناير، ثم نقل الثلاثة إلى مدينة البصرة، ومنها إلى السفينة الحربية «لوبين» التى كانت راسية فى شط العرب[٧].

أما باقى الثوار فقد تجمعوا فى «صفوان» جنوب الكويت، حيث وضعوا تحت حراسة المصفحات البريطانية تمهيدا لتسليمهم لابن سعود[٨].

ولم يجد ديكسون أى حرج فى اصطحاب زعماء الثورة، والسفر بهم جوًا، يوم ٢٨ يناير ١٩٣٠م إلى مخيم الملك عبد العزيز فى «خبارى واضحة» وتسليمهم له[٩] مع أنهم لاجئين سياسيين تعارف العالم على حمايتهم.

---

(١) Dickson, Ibid, P. 316 – 317.

(٢) هكذا لقبه خير الدين الزركلى، نفس المرجع، ص ٤٩١.

(٣) Dickson, Ibid, P. 316.

(٤) حافظ وهبه، نفس المرجع، ص ٢٨٥.

(٥) Ibid, The Arab Desert, P. 95.

(٦) تولى زعامة قبيلة العجمان بعد مقتل عمه ضيدان على يد فهد بن جلوى.

(٧) Ibid, Kuwait……, P. 319 – 320.

(٨) Ibid, P. 320.

(٩) Ibid, 323

صحيح أن ديكسون طلب من الملك المحافظة على أرواحهم، ولكن الأخير، كما يذكر ديكسون نفسه: «قد سجن زعماء الثورة بما فيهم سلطان بن بجاد[١] فى الدياجير التركية المظلمة، تحت الأرض فى الهفوف، وانقطعت أخبارهم منذ ذلك الوقت»[٢]. معترفا «بأن ابن سعود عامل فيصل الدويش، ونايف بن حثلين، وسلطان بن بجاد، وهم ثلاثة من أعظم زعماء الجزيرة العربية، بقسوة بالغة لا داعى لها»[٣].

الخاتمة:

بعد هذا الاستعراض، يمكننا القول، إن الملك عبد العزيز كان مدينًا إلى قوات الإخوان فى النجاح الذى حققه فى كل حروبه[٤]، وأنه لولاهم لما كان مُلك آل سعود[٥].

ويمكننا القول أيضا، إن الدور البريطانى فى إخماد الثورة، والذى تبدى لنا بأشكال عدة، قد فاق دور الملك عبد العزيز نفسه، ولولاه لسقط الحكم السعودى.

وقد عبر ديكسون عن ذلك بقوله: «لقد أخمدت الثورة بعد أن كلفت مبالغ طائلة من المال والعتاد، ويعود الفضل فى انتشال ابن سعود من الوضع السىء الذى كان فيه إلى الحكومة البريطانية، فلولا جهودها فى إبقاء الكويت والعراق على الحياد، ووضعها قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبية أجبرت الثوار على الاستسلام، لما تمكن ابن سعود من سحق الثورة ولتعرض هو والبيت السعودى لأخطر النتائج[٦].

❑❑❑

(١) كان قد أُسر فى معركة السبلة، ووضع فى سجن المصمك بالرياض.

(٢) Ibid, P. 328.

(٣) Ibid, P. 329.

(٤) Philby, Saudi Arabia, P. 262 –263.

(٥) أمين الريحانى، نفس المرجع، ص ٥٧١.

(٦) Dickson, Ibid, P. 329.